مُقَدِّمَة..

بدءاً كان الخليج ولمدة طويلة مادّة ثرية تعاورتها أقـــلام عربيـــة وأخرى أجنبية، ولقد كان للرحلات الاستكشافية أو التنصيريـــــة أو العسكرية القسط الوفير في إبراز وحفظ الكثير من معالم المنطقـــة في الماضي من «لودفيكو دي فارثيما» Ludvico di – varthema (١٤٦٥ – ١٥١٧م) إلى «هاري سانت جون فلـــبي» Harry.S.John Philby عند الغربيين إلى ناصر خسرو ومحمد بهجت البيطار عند العرب، كما كانت الكتابات الانثروبولوجية والاثنوغرافية والتأريخيّة أمراً تكـــاثر حدّ التفصيل وذكر الدّقائق ولعلّ نيبور قد صار معلماً بارزاً ومرجعـــاً هامّاً في هذا المجال بالإضافة إلى كتابات أمثال جون مارلوـــ وتـــوم ليتل وويلفرد تسيغر وغيرهم.

إنّ أهمية هذه المنطقة لا تأتي فقط من كونها منطقة لها قداســـتها الدينيّة والقومية كونها كانت محضناً ومنـــزلاً للدين الإسلامي الحنيف كما كانت مضرباً من مضارب العرب الأصلية. فبالإضافة إلى ذلـــك كانت أوضاعها السياسية والاجتماعية المحافظة مجلبـــة وأداة جـــذب

لفضول الباحثين وولع المستكشفين، كما كان لاكتشاف النفط فيها الدّور البارز في وضعها تحت الأضواء، وإيلائها اهتماماً خاصّاً.

ولا بأس بعد ذلك أن نقرّر أنّ هذه الأسباب مجتمعة قد جعلت المنطقة قلباً للعالم كونها المركز الديني، كما جعلتها نقطة تتشابك وتتقاطع عندها الكثير من دوائر النفوذ والمصالح الاستراتيجية، ولاشكّ آنذاك أن تعتبر منطقة استراتيجية وحسّاسة لا يمكن استغناء أيّ مشروع استراتيجي عن اعتبار العلاقة معها مغنماً وأيّ مغنم!! وقد كانت قفزة دول الخليج الستّ نحو تحقيق تكتل إقليمياً يستجيب لتحدّيات ومطالب العولمة وإفرازاتها اقتصادياً وأمنياً وسياسياً وثقافياً تجربة رائدة محتكمة إلى عنصر الوحدة الحقيقي الذي ليس هو الشعار، بل عصب الحياة والنظام العالمي الجديد، ألا وهو «الاقتصاد» في زمن وصلت فيه كلّ تجارب وحدة الشعارات والإيديولوجيات الشرقية والغربية إلى الجدار.

لذلك كنت أعجب وأنا أسمع إلى هذه النّغمة: «إنّ مشروعاً قومياً تنموياً معبّراً عن رغائب» السكان، هو الأداة المناسبة لإعادة تعبئة عامة السكان نحو تحقيق البديل الواضح في الحكم الدّستوري الدّيمقراطي، ولإعادة قدر من التّوازن إلى حياة المجتمع العربي في الخليج والجزيرة العربيّة ليخرجه من الجمود السياسي والاقتصادي

والحضاري الذي تفرضه عليه سياسات الدّولة التسلّطيّة»[1].

لقد دعاني هذا الكلام وغيره كثير إلى الإبحار في مغامرة لكتابة دقيقة أحاول من خلالها الإلمام بموضوع «الخليج العربي والتحديات التي تواجهه» ممّا وجب امتصاصه، وممّا وجب مواجهته ودفعه، في ظلّ العولمة التي يطغى فيها عنصر «التكنولوجيا» والاقتصاد على كلّ العناصر الأخرى.. إنني لا أدّعي أن الكتابة في هذا الأمر يسير أغواره في سهولة «احتساء قهوة» لكنّني أجزم أنني سأتنكّب وأقوم بتفتيت الكثير من المسلّمات في وجهات نظر عديدة، وأرى مجهودي لذاك سيتمخّض عن «شيء ما» جديد ومثير للنقاش لكنّه لن يكون بالضرورة خطأً عند من لم يضق عطنه في الاستنتاج لا في مجرّد صفّ ورصف أقوال تناءت ديار قائليها..

سعيد صالح الغامدي